افي الاثير سر الحياة والعقل

آراء السر اوليفر لدج

لا حسّ للجسم بعد الروح تعلمهُ فهل تحسُّ اذا بانت عنِ الجسد المرّي

١ : مادة الحياة : ان وجود المادة ثابت ، لا سبيل الى انكاره. والمادة عديدة الصور متنوعة الاوصاف . كالجمادات والسائلات والغازات والبروتونات والكهارب . على انها قد توجد في صورة مركّب هلامي يدعى « بروتوبلازم » . والبروتوبلازم هو مادة ظهرت فيها مميزات الحياة فندعوها « المادة الحية ». ومع اننا لا نعرف ما هي الحياة ندرك المراد بها ، لاننا نشاهد صفاتها وافعالها . فنميز بين الحي وعديم الحياة كما نميز بين صور النبات والحيوان . ونعلم ان كل حي يلد كجنسه

٢ : الحي العاقل : وكما تظهر الحياة في المادة ، متى بلغت المادة درجة معلومة في سلم النشوء ، هكذا يظهر في المادة الحية ظاهرة نسميها ظاهرة « العقل » متى بلغت درجة معلومة في سلم النشوء . ويتفاوت الاحياء في درجة العقل . واعقل الاحياء الانسان بلا مراء . والذي نفهمهُ من امر العقل انهُ مرتبط بالحياة ارتباط الحياة بالمادة . فلا نعرف حياة بدون مادة ، ولا عقلاً بدون حيّ . ونعلم ان الحياة والعقل يسودان المادة ويتصرفان بها ثم يختفيان ولم افل يتلاشيان لانهما يخرجان عن طوق المعرفة الحسية ولا حكم للعالم الطبيعي على ما يخرج عن معرفته الحسية

٣ : الاثير : ذهب علماء الطبيعة ، منذ عهد نيوتن الى انّ الفضاء اللامتناهي ، مملوء بشيء دعوهُ « اثيراً » في ذلك الحين وذاع هذا الرأي بين علماء الطبيعة في القرن التاسع عشر كما ذاع رأي الجوهر الفرد . الاّ ان العلماء تمكنوا من اثبات وجود الجوهر الفرد بالامتحانات العلمية ، وعرفوا وزنهُ وحجمهُ ، وبناءهُ . وامّا الاثير فلم يتمكنوا من اخضاعه لقواعد التجارب العلمية ، لانهُ غير متشكل بالشكل المادي ، ولا هو مركّب من اجزاء ، ولا ينتقل من مكان الى مكان ، ولا يتكيّف باشكال مختلفة . ولكنهم اضطروا ان يعتقدوا بوجوده بسبب النور . فالنور اما انهُ مادة او ظاهرة طبيعية . فان كان مادّة منبثة من الاجرام السموية في شكل ذرات دقيقة تقطع كذا الوفاً من الاميال في الثانية ، فيلزمهُ حتماً ، شيء يحملهُ ، كما يحمل الماء البواخر ، وكما تحمل خطوط الحديد القواطر والقطارات . واذا كان النور ظاهرة طبيعية اي تموجاً

فيلزم ان يكون هناك شيء يتموّج . وعلى كلا الحالين لا بدّ من وجود شيء يحمل النور او يتموّج فيكوّن النور . وذلك الشيء على رأيهم هو « الاثير »

وقد كتب السر اوليفر لدج كتاباً في هذا الموضوع سماهُ « الاثير والحقيقة » طبع في شهر مايو سنة ١٩٢٥ ثلاث طبعات . وعنهُ اقتبسنا الآراء الواردة في هذا المقال

٤ : العلاقة الاثيرية : لسنا نعلم كيف تتصل الحياة بالمادة ، ولكننا نعلم انهما متصلتان — في الاجسام الحية — وظواهر ، ذلك الاتحاد واضحة لا يقوى عاقل على انكارها . فان الحي يقوم ويقعد ، ويعمل ، وفي كل ذلك يؤثر في المادة ويحركها . ولا شيء من ذلك التأثير في المادة عديمة الحياة . فاتصال الحياة والعقل بالمادة ثابت ولو كان تعليله غير مفهوم . فهل من صلة للاثير بالعقل والحياة كصلته بالمادة ؟ لا نقدر ان نثبت ذلك الاتصال بالامتحانات العلمية لان « الاثير » خفي لا تدركهُ الحواس . ولكن ذلك الاتصال لا بد منهُ لشدة ارتباط المادة بالاثير — وقد ابان السر اوليفر ذلك في شرح طويل بسط فيهِ علاقة النور بالاثير ثم علاقة الكهربائية والمغنطيسية بهِ . وقال بعد ذلك : فاذا يحصل في الاثير حين يحلّ الجسم الحي وتبرحهُ ظاهرة الحياة ؟ ان الاثير لا ينحل كما ينحلّ الجسم لانهُ غير مركب . فلا نقدر ان نقول ان الحياة تبرح الاثير كما تبرح المادة . ويريد السر اوليفر لدج من ذلك ان يجعل قبول الناس عقيدة الخلود بعد الموت بالوسائل العلمية الطبيعية امراً سائغاً

٥ : الحياة والعقل : قلنا ان من صور الحياة صوراً راقية متصفة بالادراك والشعور والذاكرة والحب ، وغير ذلك من الاوصاف السامية التي لا نعرف كنهها . ولسنا ننكر وجود هذه الصفات في الحيوانات ، كثيراً او قليلاً ، ولكن لا نستطيع ان ننكر انها في الانسان ارقى واوضح منها في الحيوان . فهل هذه القوى العقلية ملازمة الحياة او منفصلة فيها ؟ اعني هل تقوم بذاتها من غير ان تظهر في شكل حيّ ؟ اننا نعلم ان هذه الصفات غير مادية . ومع اننا لا نعرف كنهها فقد الفناها كما الفنا شروق الشمس كل صباح وغيابها كل مساء . فهل تفتقر هذه الصفات الى مطية في العالم المادي ، كما تفتقر الحياة الى البروتوبلازم ، او هل يمكن استقلالها بالوجود ؟ الامر واضح انها تفتقر الى مطية تحتطيها فلا نعرف عقلاً بدون عاقل ، كما لا نعرف حياة في غير جسم حي . ومع ان الشعور والذاكرة والارادة والحب ، ليست اشياء مادية ، فلسنا نفهمها بدون اتصالها بالمادة . وبناء على وجود هذه الصفات في انهم وجودها في امثالي من الناس